مقياس: النص الأدبي المعاصر. السداسي الثاني.

السنة الثانية ليسانس. دراسات أدبية. المجموعة الأولى.

المحاضرة 06- الحداثة الشعرية في الجزائر:

قصيدة التفعيلة الجزائرية:

بعد أن نحى الشعر الجزائري الحديث بكل أطيافه وأعلامه منحاً تقليدياً بحتاً، فقد عرف نقلة جديدة أخرى برزت في التجديد على مستوى المضامين والشكل متأثرا بحركة التجديد العربية التي عرفتها القصيدة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتعدد المآسي التي مرت بها الأمة العربية قاطبة، فكان ظهور قصيدة التفعيلة **(الشعر الحر)** بمثابة قفزة نوعية للنص الشعري الجزائري المعاصر فكانت البداية الحقيقية الجادة لظهور هذا الاتجاه، إنما بدأ مع ظهور أول نص من الشعر الحر في الصحافة الوطنية، وهو قصيدة "طريقي" لأبي القاسم سعد الله المنشورة في جريدة البصائر بتاريخ 23 مارس 1955، وقد نشرت هذه القصيدة سنة 1955 في جريدة البصائر في عددها رقم 31، وهذا مقطع من القصيدة الموثق في ديوان (الزمن الأخضر) حيث يقول أبو القاسم سعد الله فيها:

يا رفيقي

لا تلمني عن مروقي

فقد اخترت طريقي !

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخب الأنات عربيد الخيال

كل ما فيه جراحات تسيل

وظلام وشكاوي ووحول

تتراءى كطيوف

من حتوف في طريقي

يارفيقي....

كما نجد الشاعر (أبو القاسم خمار) قد نهج نفس نهج الشاعر سعد الله في بعث النص الشعري الجزائري المعاصر ليواكب حركة التجديد على مستوى الأعاريض والأبحر والقوافي من أجل تقديم نفس جديد للمتلقي حتى يواكب هذه النقلة النوعية للنص الشعري الجزائري خاصة ما تعانيه النفس البشرية من تشظي، فكانت قصيدته بعنوان (حالة للصراخ) تعبر عن تلك الآلام العميقة للنفس البشرية فيقول:

ولما تضاءلت فوق الطريق

وغادرني الحلم، دون انطلاق

ولامست حد الجنون...

توهمت في البحر، منفرجا للتنفس

منعرجا للظنون...؟

أرى فيه، متسعا لهمومي...

ومأوى هروبٍ، من الاختناق...

زلكنه البحر...

لما تمايهت فيه

استحال إلى شرنقة

تضيق..تضيق...

وأفرزني دمعة محرقة..

على ملتقى ضخرتين..

بقايل غريق...

وهكذا قدم النص الشعري الجزائري صورة حية عن قصيدة النثر التي عرفت تذبذبا تاريخيا خاصة في البدايات الحقيقية لها، فقد شكل هذا النص نوعا من الرفض والتهميش الذي نال من جميع المبدعين الذين كتبوا الشعر الحر، ومع ذلك بقيت الدعوة في صمت تدريجيا حتى افتكت اعترافها النقدي والإبداعي مثلها مثل غيرها من النماذج الشعرية التي راحت تؤسس لوجودها الشعري في عالم النظم العمودي، وقد كان التحدي والتجربة الشعرية خير هدف للشاعر العربي من أجل تأسيس وجوده الشعري في تلك الفترة المخاض.

ثم أخيرا جاءت الدوافع النفسية التي صورت تجربة المبدع العربي بوصفها انعكاسا حول ما يعانيه الشاعر من واقع مؤلم نتج عن الكبت الروحي والمادي الذي خلقه الاستعمار في عالمنا العربي، فنتج عن هذا الجنوح إلى خلق نوع شعري جديد من العطاء الفني تظهر فيه الأمة أنها بدأت تستعيد نشاطها وحريتها من خلال الثورة، والتمرد على الواقع المرير، والبوح بالمعاناة التي يحياها الشاعر، في دائرة الثورة والحب والمرأة، والحنين والسياسة والمدينة والضياع والموت وقد حفلت فترة الستينيات حتى نهاية التسعينيات من القرن العشرين بالكثير من الأسماء الشعرية لقصيدة التفعيلة التي دونت في سجل الإبداع، ومع ذلك جاءت قصيدة التفعيلة كطارئ لغوي وكحدث جديد على ثقافة لم يعرفه الشاعر العربي من قبل.

فخلفت بذلك مشهدا أدبيا مغايرا، غير أن الجديد في تلك الفترة في إبداع القصيدة العربية الحرة هو ولوج معظمه للتعبير عن النفس الشاعرة بلغة شعرية تبرز هوية المبدع وتترجم إبداعه وطريقة تفكيره وحتى في أحاسيسه، لأنها حصيلة اجتماعية ونتاج للتاريخ الاجتماعي، وبعد شيوع القصيدة الحرة وركوب أغلبية المبدعين موجة الحداثة، والتي بدأ معها الإبداع المعاصر مرحلة شعرية جديدة، كسر العديد من المبدعين من خلالها أفق توقع النقد العربي، حيث أصبحت ذاتاً شاعرة تجيد لغة الإبداع الشعري الجديد الذي يختلف من حيث البناء الموسيقي والمعنوي، عن الشعر العربي العمودي، وبالتالي فرض المبدع العربي نموذجه الجديد على ساحة الأدب والنقد العربي المعاصر تدريجيا.